غني عن العالمين وضع الكفر موضع من لم يحج تأكيداً لوجوبه وتغليظاً على
تاركه ولذلك قال عليه الصلاة والسلام من مات ولم يحج فليمت ان شاء
يهوديا او نصرانيا وقد اكد امر الحج في هذه الاية من وجوه الدلالة على وجوبه
بصيغة الخبر وابرازه في الصورة الاسمية وايراده على وجه يفيد انه حق
واجب لله تعالى في رقاب الناس وتعميم الحكم اولا وتخصيصه ثانيا فانه كايضاح
بعد ابهام وتثنية وتكرير للمراد وتسمية ترك الحج كفرا من حيث انه فعل
الكفرة وذكر الاستغناء في هذا الموضع مما يدل على المقت والخذلان و
قوله عن العالمين يدل عليه لما فيه من مبالغة التعميم والدلالة على الا
ستغناء عنه بالبرهان والاشعار بعظم السخط لانه تكليف شاق جامع بين
كسر النفس واتعاب البدن وصرف المال والتجرد عن الشهوات والاقبال
على الله سبحانه وتعالى روي انه لما نزلت صدر الاية جمع رسول الله صلى
الله عليه وسلم ارباب الملل فخطبهم وقال ان الله سبحانه وتعالى كتب عليكم
الحج فحجوا فامنت به ملة واحدة وكفرت به خمس ملل فنزلت ومن كفر قل
يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله اي باياته السمعية والعقلية
الدالة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم فيما يدعيه من وجوب الحج وغيره
وتخصيص اهل الكتاب بالخطاب دليل على ان كفرهم اقبح وانهم وان زعموا
انهم مؤمنون بالتوراة والانجيل فهم كافرون بهما والله شهيد على ما تعملون
والحال انه شهيد مطلع على اعمالكم فيجازيكم عليها لا ينفعكم التحريف والا
ستسرار قل يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن كرر
الخطاب والاستفهام مبالغة في التقريع ونفي العذر لهم واشعارا بان كل
واحد من الامرين مستقبح في نفسه مستقل باستجلاب العذاب وسبيل الله
دينه الحق المامور بسلوكه وهو الاسلام وقيل كانوا يفتنون المؤمنين ويحرشون
بينهم حتى اتوا الاوس والخزرج فذكروهم ما بينهم في الجاهلية من التعادي
والتحارب ليعودوا لمثله ويحتالون لصدهم عنه تبغونها عوجا حال
من الواو اي باغين طالبين لها اعوجاجا بان تلبسوا على الناس وتوهموا ان فيه
عوجا عن الحق بمنع النسخ وتغيير صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحوهما
او بان تحرشوا بين المؤمنين لتختلف كلمتهم ويختل امر دينهم وانتم شهداء انها
سبيل الله والصد عنها ضلال واضلال او انتم عدول عند اهل ملتكم يثقون
باقوالكم ويستشهدونكم في القضايا وما الله بغافل عما تعملون وعيد لما

كان

كان في هذه الاية صدهم المؤمنين عن الاسلام وكانوا يخفونه ويحتالون
فيه قال وما الله بغافل عما تعملون يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا فريقا من
الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين نزلت في نفر من الاوس
والخزرج كانوا جلوسا يتحدثون فمر بهم شاس بن قيس اليهودي فغاظه
تالفهم واجتماعهم فامر شابا من اليهود ان يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث
وينشدهم بعض ما قيل فيه وكان الظفر في ذلك اليوم للاوس ففعل
فتنازع القوم وتفاخروا وتغاضبوا وقالوا السلاح السلاح واجتمع من
القبيلتين خلق عظيم فتوجه اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه
فقال اتدعون الجاهلية وانا بين اظهركم بعد ان اكرمكم الله بالاسلام وقطع
به عنكم امر الجاهلية والف بينكم فعلموا انها نزغة من الشيطان وكيد من
عدوهم فالقوا السلاح واستغفروا وعانق بعضهم بعضا وانصرفوا مع الرسول
صلى الله عليه وسلم وانما خاطبهم الله بنفسه بعد ما امر الرسول ان يخاطب
اهل الكتاب اظهارا لجلالة قدرهم واشعارا بانهم الاحقاء بان يخاطبهم الله ويكلمهم
وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم ايات الله وفيكم رسوله انكار وتعجيب لكفرهم
في حال اجتمع لهم الاسباب الداعية الى الايمان الصارفة عن الكفر ومن يعتصم
بالله ومن يتمسك بدينه او يلتجي اليه في مجامع اموره فقد هدي الى صراط مستقيم
فقد اهتدى لا محالة يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته حق تقواه وما
يجب منها وهو استفراغ الوسع في القيام بالواجب والاجتناب عن المحارم
كقوله فاتقوا الله ما استطعتم وعن ابن مسعود رضي الله عنه هو ان يطاع فلا
يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وقيل هو ان ينزه الطاعة عن
الالتفات اليها وعن توقع المجازاة عليها وفي هذا الامر تاكيد للنهي عن طاعة
اهل الكتاب واصل تقاة وقية فقلبت واوها المضمومة تاء كما في تؤدة
وتخمة والياء الفا ولا تموتن الا وانتم مسلمون اي ولا تكونن على حال سوى
حال الاسلام اذا ادرككم الموت فان النهي عن المقيد بحال او غيرها قد يتوجه
بالذات الى الفعل تارة والى القيد اخرى وقد يتوجه نحو المجموع دونهما
وكذلك النفي واعتصموا بحبل الله بدينه الاسلام او بكتابه لقوله عليه
الصلاة والسلام القران حبل الله المتين استعار له الحبل من حيث ان التمسك
به سبب للنجاة عن التردي كما ان التمسك بالحبل سبب السلامة عن التردي
والوثوق به والاعتماد عليه والاعتصام ترشيحا للمجاز جميعا مجتمعين عليه

المنكر في الاية الاولى كفرهم وهم
يجهرون به ختمها بقوله والله
شهيد ولما كان صح